جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالزقازيق
المجلة العلمية

الخطاب القرآني في تثبيت المواطنة
من خلال سورة الحجرات

إعداد

الباحث/ عباس معتق سويد الرشيدي

ماجستير - قسم التفسير وعلومه – كلية أصول الدين-
جامعة مؤته – الكرك – الأردن

(العدد الرابع عشر)

(الإصدار الأول ١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م)

علمية- محكمة- نصف سنوية

الخطاب القرآني في تثبيت المواطنة
من خلال سورة الحجرات

عباس معتق سويد الرشيدي

ماجستير – قسم التفسير وعلومه – كلية أصول الدين– جامعة مؤته – الكرك – الأردن .

البريد الالكتروني: Abass elrashidy123@gmail.com

الملخص:

يتناول هذا البحث الحديث عن الخطاب القرآني ودوره في تثبيت المواطنة لدى أفراد المجتمع، وحصر هذه الفكرة ضمن سورة الحجرات لما فيها من توجيهات ربانية تصب في مصلحة المجتمع الإسلامي، وتدعم فكرة تثبيت المواطنة بما يكفل تقوية هذا الإحساس لدى أفراد المجتمع، ويمنحهم مزيداً من التلاحم والتماسك.

ولقد تناول البحث هذه الفكرة ضمن محاور تعريفية بالمصطلحات ومدلولاتها ضمن هذا البحث، كما تناول الحديث عن الفكرة من خلال دعائم هذا التثبيت الوارد في سورة الحجرات على ما تبيّن من خلال هذا البحث.

ولقد توصل إلى مجموعة من النتائج كان من أبرزها أن الخطاب القرآني ضمن سورة الحجرات قد تميز بالحديث عن مجموعة من الدعائم التي من شأنها أن تقوي علاقة الفرد بالمجتمع من جهة، وتثبت أسس المواطنة لديه، سواء في الجانب الأخلاقي أم في الجانب المادي المباشر في التعامل بين فئات المجتمع المتنوعة.

الكلمات المفتاحية: المواطنة ، الخطاب، القرآني ، التثبيت، سورة الحجرات.

The Qur'anic discourse in establishing citizenship Through Surah Al-Hujurat

Abbas Mutaq Suwaid Al-Rashidi
Department of Interpretation and Sciences of the Qur'an - College of the Holy Qur'an and Islamic Studies, University of Jeddah- Kingdom of Saudi Arabia.
Email: Abass elrashidy123@gmail.com

Abstract:

This research deals with the Qur'anic discourse and its role in establishing citizenship among members of society, and restricting this idea to Surah Al-Hujurat because of the divine directives it contains that are in the interest of Islamic society, and supports the idea of establishing citizenship in a way that ensures strengthening this feeling among members of society, and gives them more cohesion and cohesion. .

The research dealt with this idea within the axes of definition of the terms and their meanings within this research, and it also dealt with talking about the idea through the pillars of this confirmation contained in Surat Al-Hujurat, as was revealed through this research.

He reached a set of results, the most prominent of which was that the Qur'anic discourse within Surah Al-Hujurat was characterized by talking about a group of pillars that would strengthen the individual's relationship with society on the one hand, and establish the foundations of his citizenship, whether in the moral aspect or in the direct material aspect in dealing between people. Diverse segments of society.

Keywords: Citizenship,Speech, Quranic , Discourse, Surah Al-Hujurat. .

المقدمة :

الحمد لله الأول الذي ليس قبله شيء ،والآخر الذي ليس بعده شيء ، والصلاة والسلام على صاحب المقام الكريم ،والمكان العظيم ،سيدنا محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

وبعد:

فقد جاء الإسلام ديناً قيماً لحماية الفرد والمجتمع والبشرية جمعاء من كل مظاهر الانحراف والابتعاد عن سوية الطريق وجادة الصواب، جاء الإسلام ليمنح الفرد مكانته الصحيحة في تنمية المجتمع، جاء الإسلام ليقضي على مساوئ الأخلاق، ويدعو إلى محاسنها، وقد تبيّن ذلك من خلال آيات القرآن الكريم، التي تمثل بدورها عنصراً مهماً في توظيف الأوامر الربانية في حياة المسلم.

وإن من بين الأمور التي ركّزت عليها سور القرآن الكريم وآياته موضوع المواطنة، والآليات التي تدعم وتوثق هذه السمة الاجتماعية التي يطمح إليها كل فرد، وكانت تلك المظاهر والدعائم مبثوثة في سائر سور الكتاب الكريم، غير أن هذا البحث اقتصر الحديث عن الموضوع ضمن سورة الحجرات فحسب.

وتظهر أهمية هذا البحث في أنه يكشف عن مظاهر الخطاب القرآني التي تعنى بالحديث عن تثبيت المواطنة، وتعزيز هذه الصفة في أفراد المجتمع، وبيان أهمية ذلك ومظاهره ضمن سور الكتاب الكريم ، الأمر الذي أخذ بيدي نحو اختيار مثل هذا الموضوع ، وساعدني في ذلك مبحث " المواطنة في الخطاب القرآني " الذي أفرده الكاتب العراقي فاضل الكعبي في كتابه " الطفل بين التربية والثقافة .. دراسات تربوية في ثقافة الطفل : الناشر : السعيد للنشر والتوزيع ، وهو طرح علمي جاء أقرب ماكتب لموضوعي الذي حصرته في سورة الحجرات ، في محاولة لإبراز الخطاب القرآني في صورة جلية تطبيقية من خلال هذا البحث المتواضع الذي عنونته بـ " الخطاب القرآني في تثبيت المواطنة من خلال سورة الحجرات " .

ولقد حاول البحث الإجابة عن الأسئلة الآتية:

* ما مفهوم المواطنة لغة واصطلاحا؟

* ما مفهوم تثبيت المواطنة؟

* كيف تناولت سورة الحجرات موضوع تثبيت المواطنة؟

* ما هي أبرز دعائم تثبيت المواطنة كما وردت في سورة الحجرات؟

ويهدف هذا البحث إلى بيان مفهوم المواطنة لغة واصطلاحاً بوصفه المصطلح الرئيس فيه، كما يهدف إلى بيان مفهوم تثبيت المواطنة تبعاً لمفهوم المواطنة نفسه، والكشف عن طريقة القرآن الكريم في خطاب الناس لتثبيت المواطنة، وبيان الدعائم الأساسية التي قامت عليها فكرة تثبيت المواطنة كما وردت في سورة الحجرات.

ويسير هذا البحث وفقاً لخطى المنهج الوصفي في التفسير، الذي يقوم بتحليل الآية الكريمة، وتوظيفها توظيفاً يتناسب مع الدلالة المقصودة، والغاية المرجوة ، وذلك من خلال هذه الخطة التي جاءت على النحو التالي :

المبحث الأول : مفهوم المواطنة وتثبيتها .

المبحث الثاني : التأصيل الشرعي للمواطنة الصالحة في الإسلام.

المبحث الثالث : دعائم تثبيت المواطنة كما وردت في سورة الحجرات.

ثم تبع ذلك **خاتمة** اشتملت على نتائج البحث، وثبت للمصادر والمراجع التي رجع إليها، راجياً من الله العلي القدير أن يكتب بهذا البحث النفع والبركة والخير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول :

مفهوم المواطنة وتثبيتها

يقوم هذا البحث في أساسه على مصطلح المواطنة، انطلاقاً من كون هذا المصطلح هو الركيزة الرئيسة التي يعتمد عليها فكرته ،فإن الحديث عن الخطاب القرآني ودوره في تثبيت فكرة المواطنة أمر يستوجب الحديث عن مفهوم المواطنة، بوصفه مدار البحث وأساسه.

من هنا فإن من الجميل بنا أن نتحدث عن هذا المصطلح، وأن نبين مفهومه لغة واصطلاحاً، كي تتضح الصورة بأكمل وجه، وأتم فائدة.

١ . المواطنة لغة:

عند الاطلاع على المعاجم اللغوية نجد أن مصطلح المواطنة يشير إلى ما يلي:

أ . يؤخذ مصطلح المواطنة بداية من الجذر اللغوي "وَطَنَ"، وهو جذر دال على معنى مرتبط بالوطن الذي يعيش فيه الإنسان ويستوطن، فالوطن محل الإنسان، في حين يطلق على مرابط الغنم أوطان[١].

ب . يشير ابن منظور إلى أن الوطن هو منزل الإنسان الذي يقيم فيه، ومحله الذي يرتاده، ويُجمع على أوطان، ومنه أوطان الغنم وأوطان الإبل[٢].

ج . ومنه أيضاً التوطن، وتوطن فلان في المكان أقام فيه[٣] .

---

١. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس: مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، القاهرة/ مصر، د.ط، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ج٦، ص١٢٠.

٢. ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي: لسان العرب، دار صادر بيروت/ لبنان، ط٣، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ج١٣، ص٤٥١.

٣. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج١٣، ص٣٤٣.

د . أُخِذ مصطلح المواطنة من الفعل "وَاطَنَ"، إذ إن المواطنة مصدر صريح من هذا الفعل[١].

وبناء على ما سبق من المعنى اللغوي حيث ورد في المعاجم اللغوية يمكن أن نلحظ أن مصطلح المواطنة يدور حول طبيعة المكوث في المكان، والاستقرار فيه، بحيث يتخذه الإنسان منزلاً ومحلاً، من هنا وُصِفت الأرض التي يقطنها مجموعة من البشر بالوطن، دلالة على مكوثهم في تلك البقعة من الأرض، ونزولهم فيها، واتخاذهم إياها محلاً لهم دون سائر بقاع الأرض الأخرى، وهو ما دارت حوله جميع المعاني التي ارتبطت بهذا الجذر اللغوي.

٢ . المواطنة اصطلاحاً:

ولا بد من وجود ترابط بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي للمواطنة؛ ولذا يجب الحديث بداية عن المعنى الاصطلاحي لمصطلح "مواطنة"، إذ نجد العلماء يشيرون إلى ما يلي:

أ . المواطنة نزعة ترمي إلى اعتبار الإنسانيّة أسرة واحدة وطنها العالم وأعضاؤها أفراد البشر جميعًا "تَفرِض المواطنة على كل الشعوب احترام حقوق الإنسان". وكون المرء مواطنًا من مواطني دولة، وله فيها حقوق وامتيازات تكفلها له الدَّولة وبالمقابل عليه الالتزام بالواجبات التي تفرضها عليه "أُعطي حقَّ المُواطَنة"[٢].

ب . ومن بين المحددات الدالة على هذا المصطلح ومعناه الاصطلاحي ما يرتبط بفكرة الأسس العامة للمواطنة، فإن أي مواطنة في أي دولة أو كيان

١. عمر، أحمد مختار: معجم اللغة العربية المعاصرة، دار عالم الكتب، ط١/ ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ج٣، ص٢٤٦٢.

٢. عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج٣، ص٢٤٦٢.

لا بد لها من مجموعة من الأسس كالدين مثلاً أو العرق، أو أي رابطة أخرى تربط مجموعة المواطنين ببعضهم بعضاً[1].

فالمواطنة نظام يحكم مجموعة من الأفراد ضمن إطار مكاني محدد ومخصص، يطلق عليه الوطن، ولا بد للمواطنة من مجموعة من الحقوق والواجبات التي يتحلى بها المواطن، إذ إن المواطنة نظام عام في الدولة أو الوطن.

وعند النظر في المعنيين اللغوي والاصطلاحي نجد هناك بعض التشابه ونقاط الالتقاء بينهما، فكل منهما يُكمل الآخر، ففي حين يشير المعنى اللغوي إلى الحلول في المكان، والمكوث فيه، والنزول، أشار المعنى الاصطلاحي إلى كون المواطنة نظام يحكم الناس القاطنين في وطن واحد، بمعنى أن النزول في ذلك المكان، والحلول فيه يستدعي وجود نظام يحكم ذلك الوجود والمكوث ويتحكم به، وهو ما يطلق عليه المواطنة، فلا يمكن وجود ذلك النظام المتحكم بالقاطنين في ذلك المكان، والمنظم لعملية التعامل بين الأفراد بشتى منابعهم لولا وجود المكان الذي تقطنه تلك الفئة من الناس الذين يطلق عليهم اسم المواطنين.

وبالتالي يظهر لنا من خلال ما سبق ذلك التوافق بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي، الأمر الذي يفضي بنا إلى فهم صحيح لطبيعة تلك العلاقة بين الوطن والمواطن، إنها علاقة المواطنة التي تستدعي الحقوق والواجبات بالنسبة لأفراد ذلك الوطن الذي يعد جزءاً من المنظومة الاجتماعية البشرية بصفة عامة.

١. انظر: السديري، توفيق بن عبد العزيز: الإسلام والدستور، وكالة المطبوعات والبحث العلمي، وزارة الشؤون والمقدسات الإسلامية، الرياض/ السعودية، ط١، ١٤٢٥هـ، ص١٢٧.

- **تثبيت المواطنة**

ومن خلال المعنى اللغوي والاصطلاحي فإنه من الممكن أ، نصل إلى مفهوم "تثبيت المواطنة" الذي أشار إليه الخطاب القرآني، انطلاقاً من طبيعة العلاقة بين المواطن والوطن، فليس الأمر مجرد مكوث في المكان ونزول فيه، بل هناك ما يجب على الإنسان القيام به كي يكون مواطناً صالحاً، وكي تنطبق عليه صفة المواطنة.

بمعنى أن فكرة المواطنة لا ترتبط بجانب واحد فحسب، بل تتعدى ذلك إلى مجموعة من العناصر التي تتماسك كي يتشكل لدينا الصفة الخاصة بهذا الإنسان الذي نسميه مواطناً، ولقد أتى القرآن الكريم بمجموعة كبيرة من التوجيهات الخطابية التي تفضي بالإنسان إلى تثبيت مواطنته، ولكن ما معنى تثبيت المواطنة؟

يشير مصطلح تثبيت المواطنة الذي نحن بصدد الحديث عنه في هذا البحث إلى تلك التوجيهات القرآنية التي تكفل للإنسان حقوقه في مجتمعه، وتحدد واجباته، بمعنى أنه إذا استطاع الإنسان/ المواطن أن يتتبع تلك التوجيهات القرآنية فإنه سيحصل على حقه الأوفر باتصافه بالمواطنة، وعلى حظه الأكبر في الحقوق التي تترتب على تلك المواطنة، فالتوجيهات القرآنية ليست مجرد أوامر وانواهٍ فحسب، بل لها بعدها الاجتماعي الذي يشكل عنصراً مهماً في توثيق العلاقات والصلات بين الفرد والمجتمع والمكان الذي يعيش فيه، وإن اتباع تلك التوجيهات القرآنية يكفل لهذا الفرد استدامة البقاء والمكوث في ذلك المكان، وضمن ذلك المجتمع، وهو ما نطلق عليه مصطلح تثبيت المواطنة.

فتثبيت المواطنة يعني: تلك العناصر التي تكفل للفرد البقاء وديمومة المكوث في المكان / الوطن، وذلك في حال اتباعه للتوجيهات القرآنية الصريحة التي تنظم هذه العملية الاجتماعية والبشرية بصفة عامة ، وهو ماجاء واضحًا

جليًا في الآية الكريمة : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } [الحجرات: ١٣]. فاقتضت الحكمة الإلهيه أن يكون التعارف والتعاون بين سائر شعوب العالم هو الفطرة السليمة التى خلق الناس عليها .

وعليه فالمواطنة فى مفهومها العام تعنى المساواة بين كل أطياف الوطن فى الحقوق والواجبات دون تفرقة ، وهى بذلك تكسب المواطن الذى يعيش على أرضه عدة حريات يشترط فيها عدم الانحراف بحريته انحرافاً يضر نفسه أو مجتمعه .

* " **ومن هذه الحريات :**

- **الحرية الشخصية** : وهى التى تخول للمواطن حق الحركة فى هذه الحياة بما يحقق مصلحته بعيداً عن الضرر والضرار لقوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [المُلك : ١٥] . فلا يجوز منعه من ذلك إلا بمسوغ قانونى ، ولا يعتدى على حقوقه مالاً وعرضاً ونسباً .
- **الحرية المدنية** : وهى التى يعبر عنها بحرية المسكن والملبس والتصرف والتملك فى إطار القوانين المشروعة وبما لا ينتج ضرراً بالنفس ولا إضراراً بالغير، أو بمجتمعه .
- **المواطنة والمساواة** : فكما أن المواطنة تكسب المواطن عدة حريات ، فهى أيضاً تفرض المساواة بين الناس ،وهو تكافؤهم فى الماهية الإنسانية والدينونة لخالق واحد ، فأصلهم واحد وهو آدم ، وآدم من تراب وخالقه هو رب واحد وهو خالق الناس والكون ومافيه ولا شريك له ، ومظاهر المساواة وتطبيقاتها كثيرة منها :

- **المساواة أمام القانون** : بمعنى أن يعامل كل إنسان بمقتضى القانون بصرف النظر عن المنزلة الاجتماعية وغيرها ، فالأساس هو العدل وعدم المحاباة لقوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا } [النساء: [١٣٥] ، وفى الحديث الذي روته السيدة عائشة (رضي الله عنها) أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) قال من حديثه الشريف : " ... وايْمُ اللَّهِ لو أنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا ". صحيح البخاري (٣٤٧٥) .
- **المساواة فى الواجبات** : مثل دفع الضرائب والخدمة العسكرية وغيرها مما لا يجوز إستثناء أحد منه بدون وجه حق ، وقد جاء فى القرآن الكريم أمثلة من مسوغات الإعفاء من بعض الواجبات { لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ ..} النور : من الآية:[٦١] . وقد ربط الإسلام بين التكليف والاستطاعة فى العبادات والمعاملات وغيرها فقال تعالى: { لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا } البقرة [من الآية ٢٨٦] ، { ...لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ... } الطلاق : من الآية(٧) .
- **المواطنة والأمن** : إن من أركان المجتمع السليم التى تطبق فيه المواطنة بكل أركانها أن تقوم الدولة بتوفير الأمن لجميع المواطنين والمنشآت والممتلكات كما يحرص فيه المواطنون على توفير الأمن بين بعضهم البعض ،الأمن العام الذى تطمئن إليه النفوس وتسكن فيه القلوب ويأنس به الضعيف ، فالخوف يعطل الناس عن مصالحهم ويحجرهم من تصرفهم ، والأمن يكون بالحفاظ على النفس والمال والعرض والدين ، والأمن الداخلى هو أساس للأمن الخارجى ، فالجبهة الداخلية إذا كانت آمنة مطمئنة مستقرة تفرغت

الدولة لحراسة الحدود وصد المعتدين ، ومن أجل تحقيق الأمن جاء الإسلام بالعقوبات الرادعة لكل من يتعدى الحدود ، والدولة التى تقيم مبدأ المواطنة كاملاً ترعى كافة الحقوق وتحرسها من التعدى وتأخذ الجانى بما جنت يداه وتعاقبه مهما كان منصبه ليرتدع به الآخرون ومن ثم ينصلح أمر المجتمع وتستقيم الحياة لقوله تعالى : { وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ... } البقرة : من الآية[١٧٩]، كل ذلك يقوى الروح الجماعية ويبعث على الطمأنينة والشعور بالأخوة بين مختلف أفراد المجتمع ، وبينهم وبين السلطات(١).

وبذلك فقد (أقر الإسلام المساواة والعدالة بين البشر وجعلها ميزاناً للعلاقات الاجتماعية بين افراد المجتمع الواحد وبين المجتمعات كافة، وحث الخطاب القرآني على احترام العقود والعهود والمواثيق إذ إن احترام المواثيق والعهود أساس المواطنة الصالحة) .يقول الله تعالى: { وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ} [النحل: ٩١].

وقد فصّل الكاتب فاضل الكعبي الحديث عن المواطنة ،وذلك في تأطيره للخطاب القرآني في تثبيت المواطنة بمبحث عنون له " المواطنة في الخطاب القرآني " من كتابه " الطفل بين التربية والثقافة " ،حبث يقول فيه : " لقد جاء الإسلام وفي جوهر خطابه الانساني والثقافي والديني والتربوي اعلى القيم التي تتجسد فيها معاني المواطنة الحقة حيث يتضح ذلك في الخطاب القرآني الذي دعا إلى العدل والمساواة والتسامح وعدم التميز بين المواطنين أو التفرقة والعنصرية على أساس العرق أو اللون أو الدين كما جاء في قوله تعالى: { وَمِنْ

١. يراجع هنا للمزيد : مجلة المقاولون العرب : عدد يونيو ٢٠١٢م .

آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ } [الروم: ٢٢].

ففي هذه الآية الكريمة نجد ان الإسلام يساوي بين الجميع ولا يقر العنصرية أو التفرقة لسبب من الأسباب وهدفه من ذلك بناء المجتمع الصحيح والمتعايش في إطار الوطن الذي يسمو به المواطن بروح المواطنة الحقة التي تمثل القيم الروحية والاخلاقية النبيلة وتمتثل لها في بناء المجتمع الانساني القويم الذي لا يتأسس وتقوم قواعده الصحيحة إلا بالإخوة والوحدة والتعاون والمساواة في إطار المجتمع الواحد المتضامن وفي إطار التعايش السلمي والتعاون البناء بين المجتمعات الإنسانية كافة بعيدا عن التعصب والعنصرية لذلك جاء الخطاب القرآني، خطاباً موحداً موجها لكافة الناس من ابناء البشر في مشارق الأرض ومغاربها كقوله تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } [الحجرات: ١٣]. فاقتضت الحكمة الإلهيه أن يكون التعارف والتعاون بين سائر شعوب العالم هو الفطرة السليمة التى خلق الناس عليها .

لقد جاء الإسلام في عصر كانت فيه المجتمعات العربية، وخاصة مجتمعات القبائل في الجزيرة العربية قبائل متفرقة متناحرة تسودها العداوة والبغضاء والعصبية الجاهلية، حيث يعيش القوي ويسحق الضعيف حتى في الجماعة الواحدة وفي هذه الجماعة أو الجماعات المجاورة كل يبحث عن مصلحته الخاصة على أرض لا وجود فيها لمفهوم وقيم الوطن والمواطنة مع فقدان شكل الدولة في ذلك الوقت فعمد الإسلام بشريعته السمحاء وبسيرة رسوله المصطفى النبي محمد صلى الله عليه وآله وخلقه العظيم كما يصفه القرآن الكريم في قوله تعالى: { وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ } [القلم: ٤]. عمد إلى بناء المجتمع بناءً صحيحاً بالاعتماد على قيمه الروحية والاخلاقية العظيمة وانطلاقا من البناء الروحي والنفسي والاخلاقي للإنسان ومتطلبات تعليمه لقيم المواطنة الصحيحة ومن ثم سعى إلى بناء الدولة بناء وطنياً صحيحاً في شكل الوطن الواحد الذي

تسوده روح الاخوة والتعاون والمساواة والتعايش السلمي بين أفراده ومن نتائج ذلك تكونت من القبائل المتفرقة ومن الجماعات المتناحرة أمة متماسكة مفلحة تدعو إلى الخير وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر مثلما عبر عنها الخطاب القرآني في قوله تعالى :

{ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (*) وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [آل عمران: ١٠٣، ١٠٤].

وهكذا أخذت المواطنة نسقها الإنساني وقيمتها الاخلاقية وعمقها الوطني، ودلالتها الاجتماعية والتاريخية والجغرافية الشاخصة في بناء المجتمع الإسلامي وشكله المنظم في إطار الوطن والدولة بشكل خاص وفي بناء المجتمعات الإنسانية المختلفة على امتداد الكرة الارضية بشكل عام فبرز إلى الوجود شكل الوطن وقيمته المكانية والمعنوية والتاريخية والتي تدعو العربي والمسلم إلى الفخر وهو يشير إلى حقيقة وطنه ومواطنته بوجود وطنه الحقيقي، كما جاء في الخطاب القرآني بقوله تعالى: {وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ} [التين:٣] ، ولكي يبقى هذا البلد أمينا يتطلب منا دائماً الحرص على تنمية روح المواطنة الحقة لدى أبناء هذا البلد وأن لا نغفل عنه أبداً وذلك من خلال التواصل في تربية الأطفال وتعليمهم على المواطنة على أن يسبق ذلك إدراك الجميع لضرورات التربية والتعليم على المواطنة[1].

١. الطفل بين التربية والثقافة .. دراسات تربوية في ثقافة الطفل : فاضل الكعبي ، الناشر : السعيد للنشر والتوزيع ، إبريل ٢٠١٩م ، ص ٢٩٨- ٣٠٠ بتصرف .

المبحث الثاني :

التأصيل الشرعي للمواطنة الصالحة في الإسلام

جاءت نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة تحث الناس بصورة مباشرة غير مباشرة على أن يكونوا مواطنين صالحين، من شأنهم أن يقدموا الخدمة الجليلة لمجتمعاتهم، ومن شأنهم أن يكونوا عوناً للحق والصلاح في هذه المجتمعات، يقفون في وجه الباطل والظلم، ولا يبحثون عن سفاسف الأمور، ويتحلون بالأخلاق الحميدة، ولا يجعلون هذه المجتمعات بؤر للفساد والظلام والظلم على حد سواء.

وإن القرآن الكريم قد صرّح بالنهي المباشر عن الإفساد في المجتمعات، وأمر المسلمين بصون هذه المجتمعات، وأن يكونوا عنواناً للصلاح والبناء لا عنواناً للفساد والهدم، فمن الأوامر القرآنية ما جاء في قوله سبحانه وتعالى: { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } [١].

فقد حثت الآية القرآنية الكريمة المسلمين على العدل، والحكم بالقسط، وتقوى الله تعالى، فإن هذه الأوامر الربانية من شأنها أن تجعل المسلم مواطناً صالحاً في وطنه، وأن تبعده عن الفساد في الأرض، وإهلاك الحرث والنسل.

وقوله: { وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } [٢].

---

١. سورة المائدة، آية: ٨.

٢. سورة الأنعام، آية: ١٥٢.

ففي الآية الكريمة السابقة مجموعة من الأوامر الربانية الكريمة للناس بعدم أكل مال اليتيم، وأمر بالعدل في الحياة الدنيا، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والوفاء بالعهد، وكل هذه الأوامر الإلهية لا شك ستقود المجتمع برمته، والفرد خصوصاً إلى أن يكون مواطناً صالحاً يسعى لصلاح المجتمع، ويبتعد عن الفساد.

وقال سبحانه وتعالى في امتداح المؤمنين وبيان ما يتميزون به من الفضل وصلاح المواطنة : { قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (*) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (*) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (*) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (*) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (*) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (*) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (*) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (*) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ } [1].

يُلحظ في الآيات الكريمة السابقة مجموعة من الصفات التي وصف بها سبحانه وتعالى المؤمنين، وبيّن ما يتحلون به من حسن الخلق، ومن الالتزام بأوامر الله تعالى، والابتعاد عن نواهيه، فهو سبحانه وتعالى خالقهم وهو الذي أمرهم بكل هذه الصفات التي التزموا بها في سبيل تكوين مجتمع خالٍ من الآفات الاجتماعية، وسليم من سائر مظاهر الفساد التي تهلك المجتمعات وتقوّض أمنها واستقرارها.

وكما وردت الأوامر الربانية في نصوص القرآن الكريم بوجوب اتخاذ المؤمن طريق الصلاح والإصلاح في وطنه وحياته والأرض كافة، فقد وردت آيات كثيرة تنهى عن الأفعال التي من شأنها أن تدفع المجتمعات نحو الفساد، إذ تذم الآيات القرآنية الكريمة المفسدين في الأرض، وتذكر بعضاً من أفعالهم التي

١. سورة المؤمنون، آية: ١ – ٩.

تتناقض مع فكرة المواطنة الصالحة، يقول سبحانه وتعالى:{ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ } (١).

فقد اشتملت الآية القرآنية الكريمة على ذم صريح لكل من يقوم بالإفساد في الأرض، وأبانت عن بعض مظاهر ذلك الفساد، وهو إهلاك الحرث والنسل، ثم عقّب سبحانه وتعالى على هذه الأفعال بأنها أفعال المفسدين، والله لا يحب الفساد، فكان ذلك الوصف دافعاً لابتعاد الفرد عن الإفساد في المجتمعات؛ لأنه إذا أفسد فيها فإنه سيستوجب غضب الله سبحانه وتعالى، فهو سبحانه لا يحب الفساد، من هنا كان النص القرآني صريحاً في توجيه الفرد نحو الإصلاح في مجتمعه، والابتعاد عن الإفساد.

ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى أيضاً: { وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا } (٢).

لقد اشتملت سورة الإسراء على مجموعة من الأوامر والنواهي التي من شأنها أن تكفل للمجتمعات الإنسانية حياة قويمة، بعيدة عن الفساد، يملؤها الإصلاح، ويتحلى المواطنون فيها بكل مظاهر الإصلاح والصلاح، فإن الابتعاد عن البخل والإسراف من شأنه أن يحمي المجتمع من إهلاك الأموال على غير طائل، وبالتالي حمايته من الفساد.

ثم يتابع سبحانه وتعالى قوله: { وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا (*) وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (*) وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ

١. سورة البقرة، الآية: ٢٠٥.

٢. سورة الإسراء، آية: ٢٩.

سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا (*) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا (*) وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (*) وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (*) وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا } [1].

فالآيات الكريمة السابقة تحث المسلم خاصة والمواطن عموماً على تجنب مجموعة من الأفعال التي تقوّض المجتمعات، وتمنحها سمة الفساد، منها قتل الأولاد، وقتل النفس، والزنا، وعدم الوفاء بالعهد، والخيلاء والكبر، فكل هذه الصفات تؤثر سلباً في المجتمعات، وتسلبها صفة الصلاح، وتجرها نحو الفساد، فإن المواطن الصالح يبتعد عن كل هذه النواهي، ويعمل بالأوامر التي أمره الله سبحانه وتعالى بها، ليصل المجتمع برمته إلى الصلاح في كل شؤونه، وكافة مجالاته.

كما جاءت الأحاديث النبوية الشريفة الصحيحة تحث الناس على حسن المعاملة، وصلاح المجتمع، وتنهاهم عن جميع مظاهر الفساد، فمن ذلك قول النبي (صلّى الله عليه وسلّم) فيما رواه عبدالله بن عمرو – رضي الله عنه – :

" **إنَّ مِن خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا** " [2] ، يَعني: أفضَلُكم هو أحسَنُكم خُلُقًا. وحُسنُ الخُلقِ هو صِفةُ أنْبياءِ اللهِ تعالَى وأوْليائِه، وحَقيقةُ حُسنِ الخُلقِ بَذلُ المَعروفِ وكفُّ الأذى، وطَلاقةُ الوَجهِ، ومُخالَطةُ النَّاسِ بالجَميلِ والبِشرُ، والتَّودُّدُ لهم، والإشْفاقُ عليهم، واحتِمالُهم، والحِلمُ عنهم، والصَّبرُ عليهم في المَكارِهِ، وتَركُ الكِبرِ والاستِطالةِ عليهم، ومُجانَبةُ الغِلْظةِ، والغَضبِ، والمؤاخَذةِ . ففي هذا

١. سورة الإسراء، الآيات:من ٣١ – ٣٧.

٢- أخرجه البخاري (٣٥٥٩)، ومسلم (٢٣٢١) .

الحديث حثّ صريح على حسن الخلق، فإنه أكثر الأعمال أجراً عند الله تعالى، حتى إنه أثقل شيء في الميزان يوم القيامة[١].

إن حسن الخلق من شأنه أن يبعد الإنسان عن كافة مظاهر الإضرار بالآخرين، وأن يدفعه نحو مصلحة المجموع، وهو ما يجعله مواطناً صالحاً في مجتمعه، وفرداً سليماً بعيداً عن الإفساد ومظاهر السوء المجتمعي المختلفة ،فإن حسن الخلق الذي حثّ عليه النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم) ،هو مفتاح الخير للمجتمعات، وهو الوسيلة الصحيحة لإنشاء المجتمعات الصالحة، والابتعاد عن كافة أشكال الفساد التي تقلب موازين المجتمع، وتدفعه نحو الهلاك ، ويكفي هذه المكانة عند رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) الذي جاءت به الرواية الثانية لعبد الله بن عمرو – رضي الله عنه – والتي يقول فيها النبي (صلّى الله عليه وسلّم) : " إنَّ من أحبِّكم إليَّ أحسنُكم أخلاقًا " صحيح الجامع (٢٢٠٠) وحدّث به الألباني .

وكما جاء عنه صلوات الله وسلامه عليه قوله في الحديث الذي رواه عبدالله بن عمرو– رضي الله عنه – : " المُسْلِمُ مَن سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِن لِسانِهِ ويَدِهِ، والمُهاجِرُ مَن هَجَرَ ما نَهَى اللَّهُ عنْه. "[٢].

وهو حدبث نبوي شريف يحث المسلمين على أن يكفوا الأذى عن بعضهم بعضاً، وأن يبتعدوا عن كل ما من شأنه أن يضر بمجتمعاتهم، وأن يهجروا كل ما نهى الله عنه، وهو حديث يمنح المجتمع مفتاحاً من مفاتيح الصلاح والبعد

١- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، شرح وتحقيق وتصحيح وإخراج: محب الدين الخطيب، تعليقات: عبد العزيز بن باز، دار المعرفة، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٣٧٩هـ، ج: ١٠، ص: ٤٥٨.

٢- أخرجه البخاري (١٠) ومسلم (٤٠) مختصرًا .

عن الفساد، وإن التزام الفرد بهذه التوجيهات النبوية الكريمة من شأنه أن يحميه ويحمي مجتمعه من كل مظاهر الفساد المختلفة.

وهذا الحديثُ – كما أكّد شُرّاحه – مِن جَوامعِ كَلِمِه (صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ) ، وفيه يُرشِدُنا النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إلى التَّحَلِّي بالآدابِ والأخْلاقِ الإسلاميَّةِ، الَّتي تَزيدُ الأُلفةَ والموَدَّةَ بيْن المُسلِمينَ. ومعْناه: أنَّ المسلِمَ الكامِلَ الجامعَ لخِصالِ الإسلامِ: هو مَن لم يُؤْذِ مُسلِمًا بقَولٍ ولا فِعلٍ، وخصَّ اللِّسانَ واليدَ؛ لكَثرةِ أخطائِهما وأضرارِهما؛ فإنَّ مُعظَمَ الشُّرورِ تَصدُرُ عنهما؛ فاللِّسانُ يَكذِبُ، ويَغتابُ، ويسُبُّ، ويَشهَدُ بالزُّورِ، واليدُ تَضرِبُ، وتَقتُلُ، وتَسرِقُ، إلى غيرِ ذلك، وقدَّم اللِّسانَ؛ لأنَّ الإيذاءَ به أكثرُ وأسهلُ، وأشدُّ نِكايةً، ويعُمُّ الأحياءَ والأمواتَ جميعًا. وبيَّن أنَّ المُهاجرَ الكاملَ هو مَن هجَرَ ما نهى اللهُ عنه؛ فالمُهاجرُ الممدوحُ هو الَّذي جمَعَ إلى هِجرانِ وَطَنِه وعَشيرتِه هِجرانَ ما حرَّم اللهُ تعالَى عليه؛ فمُجرَّدُ هِجرةِ بلَدِ الشِّركِ مع الإصرارِ على المعاصي ليست بهِجرةٍ تامَّةٍ كاملةٍ؛ فالمُهاجرُ بحقٍّ هو الَّذي لم يَقِفْ عند الهجرةِ الظَّاهرةِ، مِن تَرْكِ دارِ الحربِ إلى دار الأمنِ، بل هُو مَن هجَرَ كلَّ ما نَهَى اللهُ عنه. وفي الحديثِ: الحثُّ على تَركِ أذَى المسلِمين بكلِّ ما يُؤذِي. وفيه: أنَّ الظَّواهرَ لا يَعبَأُ اللهُ تعالَى بها إذا لم تُؤيِّدْها الأعمالُ الدَّالَّةُ على صِدقِها.

وانطلاقاً مما سبق كله، نجد أن أصول الشريعة الغرّاء قد حثّت المجتمعات فرداً وجماعات على اتباع التوجيهات الإلهية في سبيل الوصول بهذه المجتمعات إلى الصلاح، والابتعاد بها عن الفساد، ونصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ،والتي تحثّ على مظاهر الإصلاح في الأرض، ووجوب صلاح الفرد وابتعاده عن كافة مظاهر الفساد، كثيرة جدًا ، مما يقودنا إلى هذا التأصيل الشرعي للمواطنة الصالحة بكافة مظاهرها في نصوص القرآن الكريم، وسنخصص الحديث في هذا البحث عن مظاهر هذه المواطنة الصالحة ضمن سورة الحجرات، في الصفحات التالية بإذن الله تعالى وبتوفيقه سبحانه .

المبحث الثالث:

دعائم تثبيت المواطنة كما وردت في سورة الحجرات

يمكن القول إن سورة الحجرات من بين السور التي اهتمت بتوثيق صلة الفرد بمجتمعه ووطنه، واهتمت كذلك بتثبيت عناصر المواطنة في وطنه الذي يعيش فيه، وإن أول ما يطالعنا في ذلك الآيات الأولى من السورة، إذ يقول سبحانه وتعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (*) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (*) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ } [١]..

فإن هذه التوجيهات وهذا الخطاب القرآني المباشر للمسلمين من شأنه أن يقدم للقارئ تصوراً ابتدائياً حول الفكرة التي تتناولها السورة الكريمة، وهي فكرة تنظيم علاقة الفرد بالمجتمع الذي يحيط به، وذلك كي يصل إلى استقراره المادي والمعنوي والنفسي ضمن البقعة التي يعيش فيها، وهي ما تسمى بالوطن، وبالتالي اتصاف هذا الفرد بالوطنية أو المواطنة، فإن اتباع هذه التوجيهات القرآنية من شأنه أن يكفل لهذا الفرد ثبوتاً واستقراراً وقبولاً في هذا الوطن، وهو ما يمثل تثبيتاً لمواطنته.

وعلى الرغم من كون هذه الآيات قد نزلت بحادثة مخصوصة في حياة النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم) ،وهي أن بعض المسلمين كان يرفع صوته عند مخاطبته (صلى الله عليه وسلم) ، فنزلت هذه الآية تنهاه عن ذلك، وتأمره

١. سورة الحجرات، الآيات: ١ – ٣.

بخفض الصوت عند مخاطبة النبي (صلى الله عليه وسلم) ،وقد قيل إن الذي نزلت فيه هذه الآية هو ثابت بن أوس[١].

غير أن ذلك لا يمنع من تعميم هذه الفكرة، والإفادة من سبب نزول هذه السورة الكريمة لتوجيه الكلام نحو ما يتوجب على المجتمع بأفراده الاتصاف به من حسن التعامل مع أولي الأمر، فيفضي ذلك دون شك أو ريب إلى ثبات مواطنتهم، واستقرارهم في أوطانهم، وهو ما افتتحت به السورة الكريمة كما رأينا.

إن مطلع هذه السورة الكريمة يمنح القارئ فكرة عامة عن هذه السورة وعن مغزاها، إنها مجموعة من التوجيهات التي تجعل المسلم أكثر استقراراً في مجتمعه، وأشد ثباتاً في وطنه، وبالتالي فإن هذه التوجيهات ترفع من صفة المواطنة بالنسبة لهذا الفرد.

١ . الموقف من الإشاعات :

تركز سورة الحجرات على مجموعة من الدعائم والعناصر التي من شأنها أن تجعل الفرد متصفاً بالمواطنة، وتجعل تلك المواطنة ثابتة لا يشوبها شائبة، وإن أول تلك الدعائم ما يرتبط بموضوع الإشاعة، والموقف من تلك الإشاعات التي تقوّض المجتمع، وتسهم في ترديه نحو السفل.

ويقصد بالإشاعة تلك الأخبار المكذوبة أو غير الموثوقة التي تنتشر بين الناس، ويكون القصد منها تصديقها، لتحقيق أهداف معينة، أو ربما لمجرد التصديق فحسب[٢]. ومعلوم أنّ أضرار الإشاعات جسيمة، فكم فرقت بين الأحبة ،وكم فككت من أسر، وكم دمرت من مجتمعات، وكم نشرت من الحسد والبغضاء والتنافر بين الناس، وكم أشعلت من نار الفتنة بين الأنقياء والأصدقاء،

١. انظر: الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد: أسباب نزول القرآن، كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، ط١، ١٤١١هـ، ص٤٠٢.

٢. انظر: عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج٢، ص١٢٥٧.

وكم فرقت بين الأهل ونزعت الثقة فيما بينهم وكم أضعفت المودة في قلوبهم تجاه بعضهم البعض.

ولقد ركزت سورة الحجرات على هذه الفكرة، وأولتها اهتماماً بالغاً ،إذ يقول سبحانه وتعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ } [١].

لقد نزلت هذه الآية الكريمة في حادثة مخصوصة حصلت زمن النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم) مع الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وذلك حينما بعثه الرسول الكريم إلى بني المصطلق كي يستوفيهم صدقاتهم، غير أن الشيطان حدثه بأنهم يريدون قتله، فذكر ذلك للنبي (صلى الله عليه وسلم) ، فلما تثبت النبي من الخبر وجده قد ادعى ذلك عليهم، فنزلت فيه هذه الآية الكريمة[٢].

وأياً يكن سبب نزول هذه الآية الكريمة، فإننا لا نرى فيها تخصيصاً بهذه الحادثة فحسب، بل هي خطاب لجميع المؤمنين، فقد بدأت الآية الكريمة بخطاب المؤمنين جميعاً، وهو ما يدل على عدم تخصيصها بموقف واحد فحسب، بل ينسحب هذا الحكم على سائر المواقف المشابهة.

وتحمل هذه الآية الكريمة مجموعة من الدلالات من بينها، أنه يتوجب على المسلم ألا يصدق الخبر حتى يتثبت منه، وألا يأخذ بكلام النمام والكذاب وأولي الادعاءات المختلفة، على الرغم من دلالاتها كذلك على قبول خبر الواحد[٣].

---

١. سورة الحجرات، آية: ٦.

٢. انظر: الثَّعْلبِي، أبو إسحاق أحمد بن محمد: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، مراجعة: نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت/ لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، ج٩، ص٧٧.

٣. انظر: القشيري، عبد الكريم بن هوازن: لطائف الإشارات، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة/ مصر، ط٣، ج٣، ص٤٣٩.

وقد دعت الآية الكريمة إلى مجموعة من الإجراءات التي من شأنها أن تقود إلى فهم صحيح للخبر، ومعرفة دقيقة بمجريات الأحداث، وليس الأمر محصوراً في الحادثة التي نزلت لأجلها هذه الآية الكريمة[1].

وعند تأمل هذه الآية الكريمة نجد فيها مجموعة من التوجيهات التي من شأنها أن تحمي المواطنة، وتسهم في تثبيتها، ومن بينها:

* عدم تصديق الأخبار والإشاعات حتى يتبين الإنسان صحتها، فإن التثبت من الخبر من شأنه أن يحمي المواطن والمواطنة على حد سواء.
* إن الأخذ بهذه الحيطة من قبيل الأخبار يحمي المجتمع من الوقوع في الظلم والأخطاء، وذلك نتيجة الجهل الحاصل الذي يفضي إلى ظلم بعض الناس لبعضهم.
* إن الأخذ بهذه الاحتياطات يحمي الإنسان من الوقوع في الندامة إذا أخطأ في حق بعض مواطني المجتمع الذي يعيش فيه.

ومن هنا فإن في هذه الآية الكريمة نهيًا عن إشاعة الأخبار غير الصحيحة بين المسلمين، وكذلك نهيًا عن تصديق الأخبار التي تصل إلى الإنسان دون أن يتثبت من صحتها، ومن هنا فإن هذا الالتزام بهذه الضوابط الاجتماعية التي حددتها الآية الكريمة من شأنه أن يثبت المواطنة لدى الإنسان، ويحقق ذاته وكيانه ضمن هذا المجتمع ، وتتحق الغاية من قول الله تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } الحجرات [١٣] . حيث اقتضت

١. انظر: البيضاوي، أبو سعيد عبد الله بن عمر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت/ لبنان، ط١، ١٤١٨هـ، ج٥، ص١٣٥.

الحكمة الإلهيه أن يكون التعارف والتعاون بين سائر شعوب العالم هو الفطرة السليمة التى خلق الناس عليها .

٢ . الإصلاح بين أفراد المجتمع :

إن أي مجتمع بشري لا بد أن تحدث فيه مجموعة من الخلافات والنزاعات، ولقد وجّه القرآن الكريم المجتمع الإسلامي إلى الطريقة المثلى التي يجب العمل بها عند وقوع مثل هذه الخلافات في المجتمع الإسلامي، وذلك ما يتضح في قوله سبحانه :{ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } [١].

تتحدث هذه الآية القرآنية عما يجري في المجتمعات الإسلامية من اقتتال واختلاف، فقد وضعت أسساً واضحة للتعامل مع هذه الحالة، فإن البغي هو الأصل الذي تقوم عليه المجتمعات، والأصل أن يبدأ المجتمع بمحاولة الصلح، فإذا أبت إحدى الطائفتين الصلح، فإن المجتمع الإسلامي برمته يقف في وجهها حتى تعود عن البغي الذي يتمثل برفض الصلح، أو بالتعدي على الطائفة الأخرى [٢].

لقد أثبتت هذه الآية الكريمة دعامة من دعامات المجتمع الإسلامي حتى تكفل له السعادة والبقاء على هيئته الصحيحة والمتينة، فقد أوجبت الآية الكريمة الوقوف في وجه الفئة الباغية، ومدافعتها حتى تعود عن بغيها ذاك، وهو ما تبيّن

١. سورة الحجرات، آية: ٩.

٢. انظر: الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد: النكت والعيون، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، ط١، ج٥، ص٣٣١.

من خلال الآية الكريمة، مع التأكيد هذاهنا أن مدافعة تلك الفئة الباغية لا يكون إلا بالعدل والقسط، فلا يصلح أن يدفع الظلم بالظلم[١].

ولكن علينا أن نتنبه في هذا الموضع أن الأساس الأول الذي وضعته الآية الكريمة في هذه الحالة هو الصلح، فالمجتمع الإسلامي يسعى قبل شيء إلى إصلاح الاقتتال والتناحر بين أطيافه المختلفة، ولكن إذا لم يستطع الوصول إلى الصلح ذاك، أو نكلت طائفة من الطائفتين المقتتلتين عن ذلك الصلح فلا بد من مدافعتها كي يرفع الظلم والبغي في المجتمع الإسلامي، فليس من أولوية التشريع الإسلامي البدء بالمدافعة، بل البدء بمحاولة الصلح بين المقتتلين.

وجعلت الشريعة الإسلامية الأولوية للصلح في هذه الحالة لكون الطائفتين المقتتلتين من المسلمين، ففي جميع الأحوال وبسائر الحالات فإن هاتين الطائفتين إخوة، باعتبار أخوة الإسلام، من هنا فلا بد من السعي للصلح قبل السعي لفض النزاع بينهما بالقوة والردع والقتال[٢].

وأكّدت السورة الكريمة على رابطة أخوة الدين التي تربط جميع مكونات المجتمع الإسلامي، من هنا فلا يصح ترك المتقاتلين على هيئتهم دون صلح أو ردع، يقول سبحانه في الآية التالية: " إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ"[٣].

١. انظر: ابن عطية، عبد الحق بن غالب الأندلسي: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ، ج٥، ص١٤٨.

٢. انظر: الشوكاني، محمد بن علي بن محمد: فتح القدير، دار ابن كثير، دمشق/ سوريا، ودار الكلم الطيب، بيروت/ لبنان، ط١، ١٤١٤هـ، ج٥، ص٧٤.

٣. سورة الحجرات، آية: ١٠.

واستناداً إلى ما أشارت إليه الآية القرآنية فإننا نجدها تبيّن مجموعة من الأسس التي تكفل تثبيت المواطنة لدى أفراد المجتمع الإسلامي، في بعض الحالات الاستثنائية، فلا يصلح أن يستبعد بعض مكونات المجتمع وأن يسلبوا مواطنتهم حتى وإن قاتل بعضهم بعضاً، فعلى المجتمع الإسلامي أن يسعى لفض ذلك النزاع، وإرجاع كل مواطن لدوره الفاعل في وطنه وأمته ومجتمعه.

إن بقاء النزاع بين مجموعة من الأفراد أو الجماعات في الأمة الإسلامية يضعفها، ويضعف دور المواطن في تحقيق مصلحة الوطن، ومن هنا يضعف إحساس هذا الفرد بالمواطنة، ومن هنا وضعت الشريعة هذه الأسس البينة الواضحة كي تقوي وتثبت مواطنة هذا المواطن حتى في ظل الظروف الاستثنائية كما رأينا في حال الصراع والنزاع مع أطراف أخرى في الأمة الإسلامية.

كما يظهر لنا من خلال الآية الكريمة الطريقة المثلى للتعامل مع مثل هذه الأحداث حتى لا تذوب المواطنة، ويختفي انتماء الفرد لأمته ودولته، فالأصل الابتداء بالصلح، وهو الأولى، فإن لم يتم الصلح بسبب بغي أحد الفئات على الأخرى، فيتوجب مناصرة الفئة المظلومة ومنهاضة الفئة الباغية حتى ترجع عن بغيها، وبالتالي تستتمر المواطنة ثابتة مستقرة في نفوس أبناء الوطن الواحد.

٣ . الابتعاد عن مساوئ الأخلاق:

جاء القرآن الكريم داعياً للتحلي بالأخلاق الفاضلة، وناهياً عن الأخلاق السيئة القبيحة، وهو ما اعتدنا تلقيه ضمن الخطاب القرآني، ولكن في هذه السورة يختلف الأمر نوعاً، فيمكن أن نسمي هذه الأخلاق التي نهت عنها السورة الكريمة بالأخلاق الاجتماعية، لما لها من أثر في المجتمع، فإن شيوعها في مجتمع يشعر المرء بعدم المواطنة، في حين أن التخلص منها يجعل الإنسان يحس بمواطنته، ويثبت هذه الصفة لديه.

يقول سبحانه وتعالى في السورة الكريمة: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (*) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ } [1].

لقد جمعت هاتان الآيتان الكريمتان مجموعة من مساوئ الأخلاق التي لها ضرر بالغ في المجتمع البشري بصفة عامة، والمجتمع الإسلامي بصفة خاصة، من هنا ركزت على هذه الأخلاق السيئة ، ونهت عنها نهياً صريحاً، وأبرز هذه الأخلاق السيئة وأشهرها :

أ – **السخرية** : " التي هي الاستهانة والتحقير، والتنبيه على العيوب والنقائص، على وجه يضحك منه، والذي قد يكون بالمحاكاة في القول والفعل، أو يكون بالإشارة والإيماء " .

ب – **اللمز** : العيب بالمواجهة في الآخرين، يتميز بملمح الظهور. وجاء على لسان (الرّازي): (اللمز) هو تأكيد للهمز. وأوضح بأنّ (الهمز) يكون المغتاب وأما (اللمز) يكون النمام. وأيضاً قال بأنّ من يعيب في الوجه فهو (هامز)، ومن يعيب في القفا فهو (اللامز).

ج – **التنابز بالألقاب** : وهو نعت الشخص ،أو نداؤه بصفة أو لقب أو اسم يكرهه، أو ما فيه ذم له ،أو تحقير ،أو استهزاء به ،أو سخرية منه، وكل هذا محرم، بنصّ قول الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ

١. سورة الحجرات،الآيتان : ١١ – ١٢.

عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ الحجرات : [١١] .

د – **الظن السيء** : قال ابن القيِّم: (سوء الظن : هو امتلاء القلب بالظنون السيئة بالناس؛ حتى يطفح على اللسان والجوارح). وقد قَالَ الله تَعَالَى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ... } الحجرات:[١٢].

وعنْ أَبي هُرَيرةَ – رضي الله عنه – أنَّ رَسُول اللَّه (صلّى الله عليه وسلّم) قَالَ: إيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فإنَّ الظَّنَّ أكذَبُ الحَدِيثِ " متفقٌ عَلَيْهِ.

هـ – **الغيبة** : والغيبة محرمة، وهي من الكبائر، سواء كان العيب موجودًا في الشخص أم غير موجود؛ لما ثبت عن النبي (صلّى الله عليه وسلّم) في الحديث الذي رواه أبوهريرة – رضي الله عنه – حينما سُئل : يا رسولَ اللهِ، ما الغِيبةُ ؟ " قال : ذِكْرُك أخاك بما يَكْرَهُ . قيل : أفرأيْتَ إن كان في أخي ما أقولُ ؟ قال : إن كان فيه ما تقولُ فقد اغْتَبْتَه ، وإن لم يكنْ فيه ما تقولُ فقد بهَتَّه " أخرجه أبو داود (٤٨٧٤) واللفظ له، وأخرجه مسلم (٢٥٨٩) باختلاف يسير.

و – **التجسس** : والتجسس على المسلمين وتتبع عوراتهم أمر حرام حرمه الله تعالى في محكم كتابه ، وعلى لسان رسوله (صلى الله عليه وسلم) ، فقد قال الله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ }الحجرات : (١٢)

عند النظر في هذه الأخلاق نجد أنها أمراض اجتماعية، فإن السخرية تعد مرضاً اجتماعياً، لا شك أنه يفضي بصاحبه إلى الابتعاد عن عناصر الوطنية

والمواطنة الصالحة، كما يفضي بالطرف الثاني الذي وقع عليه هذا الضرر إلى الإحساس بتهميش المجتمع له، وأنه عنصر غير فاعل في هذا المجتمع، الأمر الذي يقوّض دعائم المواطنة الصالحة ضمن الأمة الإسلامية الكبيرة.

تتحدث الآيتان الكريمتان السابقتان عن مجموعة من الأخلاق السيئة وتنهى المسلمين عنها نهياً قاطعاً، وبيّنت عبر هذا النهي سوء العاقبة التي يؤول إليها المجتمع بسبب هذه الأخلاق الذميمة، من هنا توجب على المسلمين التخلص منها، والابتعاد عنها[١].

وإن مما يدل دلالة واضحة على توكيد هذا النهي في الآية الكريمة تخصيص الخطاب لكل من الذكور والإناث، فإن كلمة "قوم" تدل على الذكور من المجتمع، وكلمة "نساء" تدل على الإناث[٢]، وهذا يعني أن جميع مكونات المجتمع قد خوطبت على سبيل التأكيد في هذه الآية الكريمة، وهو ما يمنح المتلقي إحساساً بضرورة الأخذ بهذا النهي الرباني، كما يعني أن الخطاب خطاب مجتمعي وإلا فلماذا خُصِّص الحديث عن كلا طرفي البشرية– الذكور والإناث–.

لقد صورت الآية الكريمة هذه الأخلاق بأقبح الصور، وعبّرت عن ضررها بأشنع التعبيرات، فليس هناك أشنع من وصف الظن بأن أكثره إثم، وليس أشنع من تشبيه حالة المسلم الذي يغتاب أخيه المسلم بحالة الشخص الذي يأكل من لحم أخيه الميت، فهذه صورة تنفر منها الطباع البشرية السليمة، وتبتعد عنها النفوس المستقيمة[٣]، من هنا جاء بها الخطاب القرآني كي يؤثر قبحها في نفس

١. انظر: القشيري: لطائف الإشارات، ج٣، ص٤٤٢.

٢. انظر: النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق: يوسف علي بديوي، مراجعة: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت/ لبنان، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ج٣، ص٣٥٣.

٣. انظر: أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف: البحر المحيط، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت/ لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ، ج٩، ص٥١٦.

المسلم، ويدفعه ذلك إلى الابتعاد عنها، والتخلي عن مزاولتها، كي يكون ذلك فيه صلاح المجتمع.

و"هذه الآية والتي بعدها نزلت في خُلُقِ أهل الجاهلية وذلك أَنَّهم كانوا يجرون مع شهواتِ نفوسهم، لم يقومهم أمر من اللَّه ولا نهي، فكان الرجل يسخر، ويلمز، وينبز بالألقاب، ويَظُنُّ الظنونَ، ويتكلم بها، ويغتاب، ويفتخر بنسبه، إلى غير ذلك من أخلاق النفوس البطَّالة، فنزلت هذه الآية تأديباً لهذه الأُمَّة " [١].

وواضح من خلال الآية الكريمة نهيها الصريح عن هذه الأخلاق، وبيان سوئها، وتوضيح ذلك للمسلمين، وصراحة الدلالة على ذلك حتى يبتعد المجتمع عنها لما لها من آثار اجتماعية سيئة وسلبية [٢].

ويقول الشيخ الطاهر بن عاشور في تعليق له على هاتين الآيتين وما فيهما من التوجيهات الربانية، والتحذير من أخلاق الجاهلية: " لَمَّا اقْتَضَتِ الْأُخُوَّةُ أَنْ تُحْسَنَ الْمُعَامَلَةُ بَيْنَ الْأَخَوَيْنِ كَانَ مَا تَقَرَّرَ مِنْ إِيجَابِ مُعَامَلَةِ الْإِخْوَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ يَقْتَضِي حُسْنَ الْمُعَامَلَةِ بَيْنَ آحَادِهِمْ، فَجَاءَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ مُنَبِّهَةً عَلَى أُمُورٍ مِنْ حُسْنِ الْمُعَامَلَةِ قَدْ تَقَعُ الْغَفْلَةُ عَنْ مُرَاعَاتِهَا لِكَثْرَةِ تَفَشِّيهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ لِهَذِهِ الْمُنَاسَبَةِ، وَهَذَا نِدَاءٌ رَابِعٌ أُرِيدَ بِمَا بَعْدَهُ أَمْرُ الْمُسْلِمِينَ بِوَاجِبِ بَعْضِ الْمُجَامَلَةِ بَيْنَ أَفْرَادِهِم "[٣].

---

١. الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت/ لبنان، ط١، ١٤١٨هـ، ج٥، ص٢٧١.

٢. انظر: الشوكاني: فتح القدير، ج٥، ص٧٥ وما بعدها.

٣. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد: التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ط١، ١٩٨٤م، ج٢٦، ص٢٤٦.

وعند النظر في هذه الآية الكريمة نجد أن ما تحدثت عنه من الأخلاق، وما نهت عنه من مساوئ الأخلاق لا يرتبط بشخص واحد، أو بفرد من أفراد المجتمع، بل هي مجموعة من النواهي التي من شأنها أن تحمي المواطنة برمتها في المجتمع الإسلامي، وأن تصون المجتمع من كافة أشكال التزعزع الداخلي.

إن تمسك أفراد المجتمع بهذه الأخلاق، وعدم التنبه لخطورتها يفضي إلى ضياع المجتمع، وتقويض دعائمه، ابتعاد المواطنين عن الاتصاف بالمواطنة الحقيقية، من هنا ركزت الآية الكريمة على وجوب التخلص من هذه الأخلاق، فإن الابتعاد عنها، والتخلص منها يفضي إلى التخلص من بعض مظاهر الضعف التي تحيق بالمجتمع، وفي الوقت نفسه يفضي ذلك إلى تثبيت معاني المواطنة في نفوس أفراد المجتمع الإسلامي، وزيادة إحساس أولئك الأفراد بقيمة تلك المواطنة، وقوة علاقتهم بمجتمعهم من جهة، ووطنهم من جهة أخرى، وهذا ما سعت إليه الآيات الكريمة السابقة ، بل ماسعى إليه القرآن الكريم ، وهَدي النبي (صلّى الله عليه وسلّم) ، لا سيّما سورة الحجرات ،والتي قال عنها الإمام فخر الدين الرازي : هذه السورة فيها إرشاد المؤمنين إلى مكارم الأخلاق، وهي إما مع الله، أو مع رسوله (صلى الله عليه وسلم)، أو مع غيرهما من أبناء الجنس، وهم على صنفين: إما أن يكونوا على طريقة المؤمنين وداخلين في رتبة الطاعة، أو خارجين عنها .

الخاتمة ..

وفي ختام هذا البحث يمكن أن نصل إلى مجموعة من النتائج أهمها :

١- أنّ من الحقائق الجلية التي لم ولن تتغيّر ،أنّنا في الإسلام أمام مواطنة عادلة آمنة مكتملة الأركان ، ذات أبعاد وآفاق إنسانية سامية ، ولا سبيل إلى إنكارها وهي الحقّ والحقيقة ، أو التجاهل على مضامينها وهي للناس كافة ، وهنا يكمن عالميتها وإنسانيتها حتى فاقت في أبعادها وتجلياتها المواطنة المادية الغربية ، وهذا مبعث اعتزاز المسلم بإسلامه .

٢ – ركزت سورة الحجرات منذ الآية الأولى على تدعيم مظاهر المواطنة الصالحة لأفراد المجتمع الإسلامي، وتقوية أواصر المجتمع باعتبار رابطة الأخوة بين أولئك الأفراد.

٣ – تمثلت عناصر تثبيت المواطنة وفقاً للخطاب القرآني في سورة الحجرات بمجموعة من المظاهر كان من أبرزها نبذ الإشاعة، والوقوف في وجهها، والصلح بين أفراد المجتمع، ونبذ الأخلاق السيئة التي كان تشيع في الجاهلية.

٤ – إن الأخذ بهذه التوجيهات القرآنية الكريمة يمنح الفرد إحساساً بالمواطنة والفاعلية في المجتمع والدولة التي يعيش فيها، وهو ما يتناقض تماماً مع ذلك الفرد الذي لا يأخذ بهذه التوجيهات القرآنية الكريمة.

٥ – إن هذه التوجيهات القرآنية تدعم المواطنة الصالحة من جهة، كما تدعم الأخوة الإسلامية التي تربط مكونات المجتمع الإسلامي ببعضه بعضاً، بمعنى أن فائدة هذه التوجيهات القرآنية الكريمة تعم الفرد والمجتمع بأكمله.

٦ – لقد منحت الآيات القرآنية الكريمة بعض التوجيهات أولوية على بعضها الآخر، فمثلاً أعطت الصلح بين الأطراف المتنازعة أولوية على قتال الفئة الباغية، في محاولة للوصول إلى تثبيت المواطنة لدى أفراد المجتمع ببعض الوسائل الأقل ضرراً على المجتمع والفرد معاً.

٧ – إن الأخذ بهذه التوجيهات القرآنية الكريمة يعزز لدى الفرد الشعور بالمواطنة الحقيقية، ويغذي لديه الإحساس بقيمته في المجتمع، كما يمنحه احتراماً لكافة مكونات هذا المجتمع، وسائر شرائحه، وصولاً إلى تحقيق مجتمع أقوى في وطنيته ومواطنته.

هذه هي أبرز النتائج التي توصل إليها البحث راجياً من الله أن يكتب فيه الخير والنفع والبركة.

والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات ،،،

ثبت المصادر والمراجع

= **القرآن الكريم ، كلام الله تعالى**

= **كتب الصحاح .**

مصادر البحث ومراجعه :

* ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، شرح وتحقيق وتصحيح وإخراج: محب الدين الخطيب، تعليقات: عبد العزيز بن باز، دار المعرفة، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٣٧٩هـ.
* ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد: مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
* ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد: التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ط١، ١٩٨٤م، ج٢٦، ص٢٤٦.
* ابن عطية، عبد الحق بن غالب الأندلسي: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ،
* ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس: مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، القاهرة/ مصر، د.ط، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
* ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي: لسان العرب، دار صادر بيروت/ لبنان، ط٣، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
* أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف: البحر المحيط، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت/ لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ،
* البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

* البيضاوي، أبو سعيد عبد الله بن عمر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت/ لبنان، ط١، ١٤١٨هـ،
* الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت/ لبنان، ط١، ١٤١٨هـ،
* الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، مراجعة: نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت/ لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م،
* السديري، توفيق بن عبد العزيز: الإسلام والدستور، وكالة المطبوعات والبحث العلمي، وزارة الشؤون والمقدسات الإسلامية، الرياض/ السعودية، ط١، ١٤٢٥هـ.
* الشوكاني، محمد بن علي بن محمد: فتح القدير، دار ابن كثير، دمشق/ سوريا، ودار الكلم الطيب، بيروت/ لبنان، ط١، ١٤١٤هـ،
* القشيري، عبد الكريم بن هوازن: لطائف الإشارات، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة/ مصر، ط٣،
* الكعبي ، فاضل : الطفل بين التربية والثقافة .. دراسات تربوية في ثقافة الطفل ، الناشر : السعيد للنشر والتوزيع ، إبريل ٢٠١٩م .
* الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد: النكت والعيون، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، ط١،
* النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق: يوسف علي بديوي، مراجعة: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت/ لبنان، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م،

* الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد: أسباب نزول القرآن، كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، ط١، ١٤١١هـ.
* عمر، أحمد مختار: معجم اللغة العربية المعاصرة، دار عالم الكتب، ط١/ ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

****